الامْتِدَادَاتُ الْقُرْآنِيَّةِ فِي اقْتِبَاسَاتِ الْخِطَابِ الْحُسَيْنِيِّ خُطْبَةُ عَاشُوراءَ مِثَالًا

تبارك مجيد بنيان

tmjydbnyan@gmail.com

أ.د. إبتسام عبدالكريم المدني

ibtesam.almadany@uokufa.edu.iq

جامعة الكوفة / قسم اللغة العربية

كلية التربية الاساسية

Quranic extensions in the quotes of the Husseini discourse, Ashura sermon as an example

Prof. Ibtisam Abdul Karim Al-Madani

Tabarak Majid Banyan

University of Kufa / Department of Arabic Language

Faculty of Basic Education

الملخص

لقد كان القرآن الكريم هو النسخة المقروءة وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام هم النسخة الناطقة حيث وصفهم الرسول الأكرم صلى الله عليه واله بـ(عدل القرآن) فكان القرآن الكريم ينطق على ألسنتهم في خطبهم ومواعظهم. حتى صار الاقتباس من القرآن الكريم فنًا بلاغيًا نظّر له علماء البلاغة فيما بعد ثم صار درسًا من دروس علم البديع.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في: المضي بالتحقق من الفرضية التي افترضتها الأستاذة الدكتورة ابتسام السيد عبد الكريم المدني في بحثها الموسوم بـ: (قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام) والذي عرضت فيه للمرة الأولى خصوصية أهل البيت -عليهم السلام- في اقتباساتهم القرآنية إذ سجلت ملاحظة وجود امتدادات في النص القرآني المقتبَس منه تبدو أنّها مقصودة أيضا عند المتكلم من أهل البيت عليهم السلام فتناولت الدكتورة المدني هذا الموضوع ونظّرت له وطبّقت في مجموعة من الاقتباسات وكانت النتائج مشجعة على المضي في الاستقصاء مما جعلها تسجل الفرضية الآتية: (إنّ أهل البيت عليهم السلام لهم خصوصية في الاقتباس القرآني تتمثل بوجود امتدادات لمقاصدهم في السياق القرآني الذي ورد فيه ذلك الاقتباس) ودعت الدكتورة المدني الباحثين إلى التحقق من هذه القضية بأكبر كم من الاقتباسات في كلام ألائمة من أهل البيت عليهم السلام.

وتأسيسا على ذلك ينطلق التساؤل من تلك الفرضية مفاده: (هل للإمام الحسين عليه السلام خصوصية في الاقتباس القرآني يتمثل بوجود امتدادات لمقاصده في السياق القرآني الذي ورد فيه الاقتباس)؟

من ذلك التساؤل اختير عنوان: (الامتدادات القرآنية في اقتباسات الخطاب الحسيني

-خطبة عاشوراء مثالاً-) وبذلك اقتضت خطة البحث ان تتكون من تمهيد يعرف بالخطبة الحسينية العاشورية ثم فصل أول: تناول الإرهاصات النقدية في الامتدادات القرآنية وتكون من مبحثين: المبحث الأول بعنوان: نقد الاقتباس والتضمين والمبحث الثاني بعنوان: مفهوم الامتدادات القرآنية بينما كان الفصل الثاني بعنوان: امتدادات الخطبة العاشورية في السور القرآنية وتكون من مبحثين: المبحث الأول: امتدادات الاقتباس الحسيني الأوّل في السورة المقتبس منها والمبحث الثاني: امتدادات الاقتباس الحسيني الثاني في السورة المقتبس منها. وأخيرا الفصل الثالث المعنون بـ: الامتدادات في الاقتباس الحسيني وتضمن مبحثين أيضا كان المبحث الأول: امتداد الاقتباس الأول في النص المختار من سورة يونس. والمبحث الثاني: امتداد الاقتباس الثاني في النص المختار من سورة الأعراف. ثم الخاتمة وكانت أهم نتائجها.

واما الفصل الثالث: فوسم بعنوان: الامتدادات في الاقتباس الحسيني وكان على مبحثين أيضا المبحث الأول: امتداد الاقتباس الأول في النص المختار من سورة يونس.

المبحث الثاني: امتداد الاقتباس الثاني في النص المختار من سورة الأعراف. فتناولت هذا الموضوع ونظّرت له وطبقت في مجموعة من الاقتباسات وكانت النتائج مشجعة على المضي في الاستقصاء. فبينت الامتدادات القرآنية في الخطبة بالمطامع البشرية وحبّ الذات والعمى عن اليوم الآخر وبذلك العمى تحصل الجرائم البشعة التي يقوم بها الظالمون وهم لا يبالون حينئذ بمن كان يقف أمامهم وإن كان ابن بنت نبيّهم الذي لا ابن بنت نبي غيره.

فالإمام (عليه السلام)حينما كان يقتبس من القرآن الكريم، كانت له غايات عميقة وكثيرة، يمكن للدارس استشفافها عند متابعة النصّ القرآني الذي اقتبس منه.

الكلمات المفتاحية:

الامتدادات / القرآنية / الاقتباسات / الحسينية / الخطبة / عاشوراء

Abstract

The Holy Qur'an was the read version and the imams of A Hal al-Bayt peace be upon them were the speaking version as the Noble Messenger may God's prayers and peace be upon him and his family described them as "the justice of the Qur'an." The Holy Qur'an was speaking on their tongues in their sermons and sermons. Until quoting from the Noble Qur'an became a rhetorical art that was later considered by rhetoric scholars and then it became a lesson in the creative of science.

Research problem:

The research problem is represented in: proceeding to verify the hypothesis assumed by Professor Dr. Ibtisam Al-Sayed Abdul Karim Al-Madani in her research tagged with: (Qabas from the Qur'anic extensions in the speech of Lady Zaynab peace be upon her) in which she presented for the first time the privacy of the Ahl al-Bayt – peace be upon them – in their Qur'anic quotations where it was noted that there are extensions in the Qur'anic text quoted from

it which seem to be intended also by the speaker from the Ahl al-Bayt peace be upon them so Dr. Al-Madani dealt with this topic and theorized and applied it in a set of quotations and the results were encouraging to proceed with the investigation which made her record the following hypothesis (The Ahl al-Bayt peace be upon them have a specificity in the Qur'anic quotation which is represented in the presence of extensions of their purposes in the Qur'anic context in which that quotation was mentioned) Dr. Al-Madani called on researchers to verify this issue with the largest number of quotations in the words of the imams of the Ahl al-Bayt peace be upon them.

Based on that the question stems from this hypothesis that: ((Does Imam Hussein peace be upon him have a speciality in the Qur'anic quotation which is the presence of extensions of his purposes in the Qur'anic context in which the quotation is mentioned?))

From that question a title was chosen: ((Quranic Extensions in the Quotations of the Husseini Discourse – the Ashura Sermon as an example-)). Thus the

research plan required that it consist of a preface known as the Husseini Ashura sermon and then a first chapter: dealing with critical indications in the Qur'anic extensions and it consisted of two sections: The topic The first is entitled: Criticism of citation and inclusion and the second topic is entitled: The concept of Quranic

extensions while the second chapter is entitled: Extensions of the Ashura sermon in the Qur'anic surahs and it consists of two sections: The first topic: Extensions of the first Husseini quote in the quoted surah and the second topic: Extensions of the Husseini quote The second in the surah quoted from. Finally the third chapter entitled: Extensions in the Husseini quotation and included two sections as well. The first topic was: The extension of the first quotation in the selected text from Surat Yunus. The second topic: the extension of the second quote in the selected text from Surat Al-Araf. Then the conclusion was the most important results.

As for the third chapter it was titled: Extensions in the Al-Hussaini quotation and it had two sections

as well. The first topic: The extension of the first quotation in the selected text from Surat Yun us.

The second topic: the extension of the second quotation in the selected text from Surat Al-A`raf.

So I dealt with this subject looked at it and applied it in a number of quotations and the results were encouraging to proceed with the investigation.

The Qur'anic extensions in the sermon showed human ambitions self-love and blindness to the Last Day and with this blindness the heinous crimes committed by the wrongdoers occur and they do not care at that time who was standing in front of them even if he was the son of the daughter of their prophet who is the son of the daughter of a prophet other than him.

The Imam (peace be upon him) when he was quoting from the Noble Qur'an had deep and many goals which the student can deduce when following the Qur'anic text from which he quoted.

Key words:

-1Quantic extensions - -2Hussainiya quotes. - -3The Qur'anic Extensions in the Hussainiya Ashura sermon

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وكرمنا بالعافية حمدًا كثيراً يملأ السموات والأرض والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد جعل الله كتابه الكريم المنزل معجزة كبرى دالة على صدق رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد انزل القران ببيان فصيح ولغة جزلة ومعانٍ عظيمة جليلة وأساليب راقية محكمة أعجزت الجن والإنس ان يأتوا بمثله او بمثل عشر سور أو حتى بمثل سورة واحدة وعلى مرّ الأزمان والعصور.

لقد كان القرآن الكريم هو النسخة المقروءة وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم النسخة الناطقة فقد وصفهم الرسول الأكرم صلى الله عليه واله بـ(عدل القرآن) فكان القرآن الكريم ينطق على ألسنتهم في خطبهم ومواعظهم. حتى صار الاقتباس من القرآن الكريم فنا بلاغيا نظّر له علماء البلاغة فيما بعد ثم صار درسا من دروس علم البديع.

الأستاذة الدكتورة ابتسام السيد عبد الكريم المدني -المشرفة على هذا البحث- لفتت نظرها الاقتباسات التي تتضمنها خطب أهل البيت (عليهم السلام) من حيث ان لتلك الاقتباسات امتدادات في النص القرآني تبدو انها مقصودة أيضا عند المتكلم من أهل البيت (عليهم السلام) فتناولت هذا الموضوع ونظّرت له وطبقت في مجموعة من الاقتباسات وكانت النتائج مشجعة على المضي في الاستقصاء. ولما كانت الفكرة جديدة فهي بحاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء للوصول إلى نتائج يمكن ان تعمم وتكون صحيحة الافتراض. ومن اجل ذلك عرضت الدكتورة المدني الموضوع تحت

عنوان: (الامتدادات القرآنية في اقتباسات الخطاب الحسيني -خطبة عاشوراء مثالاً-) على طلبة الصف الرابع في قسم اللغة العربية ليكون مشروع بحث للتخرج وقد مكنني ربي ان اختار هذا الموضوع وان اشرع في بحثه.

لم أجد دراسة تناولت الموضوع سوى الدكتورة ابتسام المدني في بحثين اثنين: الأول بعنوان: (الامتدادات القرآنية في كلام الإمام الكاظم عليه السلام) وهو بحث مخطوط والثاني بعنوان: (قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام) وهو بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر العتبة الحسينية.

اقتضى منهج البحث ان يتكون من تمهيد: يعرف بخطبة عاشوراء للإمام الحسين عليه السلام ثم فصل أول يتناول (ارهاصات نقدية في الامتدادات القرآنية) وكان على مبحثين المبحث الأول: تناول نقد الاقتباس والتضمين. والمبحث الثاني: تناول مفهوم الامتدادات القرآنية وأما الفصل الثاني: فكان تحت عنوان: امتدادات الخطبة العاشورية في السور القرآنية تناول فيه المبحث الأول: امتدادات الاقتباس الحسيني الاول في السورة المقتبس منها واما المبحث الثاني فقد كان: بيان مفهوم الامتدادات القرآنية.

واما الفصل الثالث: فوسم بعنوان: الامتدادات في الاقتباس الحسيني وكان على مبحثين أيضا المبحث الأول: امتداد الاقتباس الأول في النص المختار من سورة يونس.

المبحث الثاني: امتداد الاقتباس الثاني في النص المختار من سورة الأعراف.

ثم خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

وكان المنهج الذي يلائم خطة البحث وأهدافه هو المنهج الوصفي.

وفي الختام أتقدم بوافر الشكر وكثير الامتنان للأستاذة الدكتورة ابتسام السيد عبد الكريم المشرفة على هذا البحث لما قدمت وما زالت تقدم من جهد ووقت ثمين وتوجيهات قيمة فجزاها الله خير جزاء المحسنين.

التمهيد

تعريف بالخطبة العاشورية للإمام الحسين (عليه السلام)

الخطاب: استعمال يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة التداولية والاجتماعية وله خصوصية نفسية وأسلوبية وله منهجية يسعى المتلقي إلى تحليله وفك شفرته من اجل فهمه. والخطاب -على اختلاف لونه: سواء أكان شعرا أم نثرا أو على اختلاف أهدافه: سواء أكان سياسيًا أم اجتماعيا أم تعليميا - لابد ان يكون للمتلقي قدرة على القراءة والتأويل، لأن الخطاب بناء متماسك معقد[1]. ويعد الخطاب رافداً ثقافياً يتراسل مع مكونات الثقافات الأخرى فثقافة منشئ النص، ينهل منها المبدعون على مر العصور حيث الألفاظ، والمعاني والصور التي تساعد على ارتقاء نتاج المبدع الأدبي، وعادة ما يتلون الخطاب بلون ثقافة المنشئ لذلك كان الرافد الديني للخطاب رافدا مميزا. فالنص الديني له دلالات لفظية خاصة وجماليات الصورة فيه دقيقة الصياغة وعادة ما تكون له قوة حجة وعنصر تأثير[2].

هذا المنظور العام للخطاب فكيف اذا كان الخطاب قد تأتى من ابلغ بلغاء العرب: الإمام الحسين (عليه السلام) سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، جده رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفصح من نطق

(١) ينظر: خطب الامام الحسين في وقعة الطف لابي مخنف الازدي ت١٥٧. دراسة في ضوء تحليل الخطاب (أ.د حربي نعيم محمد الشبلي/ جامعة كربلاء،كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية، مجلة العميد، مجلة فصلية محكمة السنة العاشرة، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون:٢٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق :٢٥ ومابعدها.

بالضاد وفي بيوتهم أنزل الله القرآن الكريم الذي به حفظت اللغة العربية وكان وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وارث علم الرسول وباب مدينة العلم، وإمام البلغاء وسيد الخطباء بلا منازع وصاحب نهج البلاغة أفصح نص عربي بعد كتاب الله وكلام رسوله، وفيه من بلاغة القول وفصاحة الألفاظ وتنوع الأساليب ما يعجز عنه البشر، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ورثت البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الخطاب من أبيها. لقد حمل الإمام الحسين هذا الإرث العظيم من بلاغة القول وفصاحة اللسان وقوة التعبير ليكون من اعظم خطباء عصره[١].

يذكر التاريخ أن الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من المدينة نحو كربلاء وقد ركز على أمرين: الأول: الرفض القاطع لبيعة يزيد والثاني: دعوة المسلمين إلى نصرة الحق ورفض الباطل. وبهذا كان الحسين عليه السلام ينطلق من فكرة واضحة متمثلة في بيان ذلك الحق ومحاولا إقناع السامعين به لذلك كان لا بد له من ان يتخذ من الخطاب وسيلة أولى ومن أسلوب التعبير أبعادا مختلفة، ولذلك يجد دارس خطاب الحسين عليه السلام يوم الطف أن فيه أبنية وأساليب مختلفة رسم الامام عليه السلام من خلالها صورا تؤثر في عقل المتلقي وقلبه[٢].

إنّ أسلوب خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) يسير -غالبا- في اتجاهين واضحين: الأول: هادئ يسلك سبيل التقرير والاحتجاج العقلي والديني، والثاني: ثائر قوي غاضب من سلوك الخصم ولذلك يلاحظ الدارس أن طبيعة الخطاب الحسيني تتراوح بين الخطاب الاقناعي المعتمد على الحجاج والمنطق وبين الخطاب الحماسي الذي يعمد إلى تحريك العاطفة نحو سبل الاقناع الواردة في الخطاب وهذا ديدن الخطاب حيث يهدف إلى الاقناع وتحويل المخاطبين من وضع سلوكي معارض أو محايد إلى

(١) ينظر:الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل،تأليف الدكتور عبد الكاظم. محسن الياسري، اصدار قسم الشؤون الفكرية في العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الاولى، (٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ): ٢٧.

(٢) ينظر:المصدر السابق: ص ٤٦.

وضع سلوكي آخر يدفع بهم إلى الاقتناع بالأمر والحماس إلى إنجازه وذلك من خلال الأدلة التي تكفل الإقناع وتكفل إثارة الحماسة. كما ان تأجج عاطفة الخطيب الصادقة عادة ما تلهب الكلمات، وتفتح قنوات التواصل مع القلوب فتمتزج نفوس السامعين بتلك الاحاسيس. فتثير الأخيلة والذكريات، وتبعث صورا وأفكارا ملائمة للموضوع تتداعى وتتوافد على المتلقي ولاسيما اذا استعمل الخطيب التأثير السريع بالجمل القصار فانها أنسب في سرعة الفهم وتلاحق الأثر، مثلها مثل الطرقات المتوالية على الحديد المحمى، فإن سرعتها تؤثر فيه وتشكله[1] وهذا ما جعل قواد الجيش الاموي المواجه للإمام الحسين (عليه السلام) لا يسمح له بطول الخطاب كي لا يؤثر في نفوسهم كما اثر في نفس الحر الرياحي مما جعله يترك جيش يزيد ويلتحق بركب الحسين (عليه السلام) مع علمه بأنه سوف يقتل لا محالة[2].

تعدّ خطب الإمام الحسين (عليه السلام) سفرا خالدا في تاريخ الخطابة العربية، لما تحمله هذه الخطب من قيم إنسانية عالية وما انطوت عليه من أساليب حجاجية وإقناعية أراد بها الإمام الحسين (عليه السلام) تأدية واجبه الرسالي، وقد تضمنت هذه الخطب حججا مدوية أخذت تقرع آذان أعدائه وتفحم ألسنتهم كاشفاً زيف إعلام الأمويين[3].

وقف الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته العاشورية تلك معتمدا على أدلة واقعية ومنطقية متسلسلة في إقامة حجته في مواجهة خصومه محاولا اقناع المتلقين بصواب رأيه وفكرته والوصول إلى نتيجة معينة، مستخدما قدرة تعبيرية ولغوية فائقة من اجل عرض ما لديه من حقائق بدقة ولباقة لتضع الحجة جلية امام المتلقي فتملك عليه عقله وشعوره حتى يسلم بها او يكون عاصيا لله متمردا على أوامره.

(١) ينظر: فن الخطابة للدكتور احمد محمد الجوفي، دار النهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر:١٧.

(٢) ينظر مقتل الامام الحسين، العلامة الشيخ عبد الزهرة الكعبي، شبكة الفكر: ٤٣ وما بعدها.

(٣) ينظر:التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية للدكتور هادي سعدون هنون،(د.ط)،إصدارات العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢،م: ١٩.

إن الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية كان لها اثر كبير في تكوين الشخصية المتكاملة للإمام الحسين (عليه السلام) وهذا ما يدل عليه خطابه (عليه السلام) يوم عاشوراء ففي الوقت الذي كان يوجه الخطاب إلى الجيش الاموي استطاع ان يتخطى به الزمان والمكان ليكون عاما للمسلمين في مختلف الامكنة والازمنة بل كان يصلح ان يكون خطابا للإنسانية عامة مهما اختلفت أيديولوجياتها. ومن ذلك قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربّنا، وبئس العبيد أنتم)[1].

إنّ الحقائق الوعظية تخصّ الإنسانية في كل الأمكنة والازمنة. وقد غلبت على الخطابة سمة الوضوح وقوة الإبلاغ المقرون ببسط الآراء ومناقشتها وتقديم نتائجها وتعزيز مخرجاتها، بحجج نقلية وعقلية ومنطقية، مدعومة بالبديهيات وقد تناص في خطابه (عليه السلام) الكثير من مفردات القرآن الكريم ومركباته ونصوصه والتي كانت تهدف إلى إقناع المتلقي ولكن ثقافة الإمام الحسين (عليه السلام) القرآنية تجعل اقتباساته من القرآن الكريم اعمق بكثير من كونها اقتباسات يقصد بها الجزء المقتبس بل نظر في اقتباسه إلى السورة القرآنية المقتبس منها والى النص الذي ورد فيه الاقتباس وكما سوف يتبين في فصول البحث[2].

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء،سنة الطبع (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م): ٤٥/ ٥-٦.

(٢) ينظر: قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام/ أ.د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني/ مجلة الإصلاح الحسيني الصادرة عن العتبة الحسينية العدد الرابع والعشرون السنة السادسة: (١٤٣٩هـ-٢٠١٨م): ١٦٠.

المبحث الأول: إرهاصات نقدية في الامتدادات القرآنية

المسألة الأولى: نقد الاقتباس والتضمين

لابد للباحث وهو يتابع مفهوم الاقتباس والتضمين ونقدهما من ان يقف على دلالة المفردتين في اللغة والمصطلح.

أولا: الاقتباس:

الاقتباس لغة:

ورد في المعجمات اللغوية ان القبس يعني: الشُعلة من النار تَقتَبسها من مُعظَم النار، واقتباسُها الأخذ منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1] والقَبَس: الجَذْوَة، وهي النار التي تأخذها في طَرَف عُود: وفي حديث عن الإمام علي (عليه السلام): «**حتى أورى قَبَساً لِقابِس**» أي أظهر نُوراً من الحق لطالبه، والقابِس: طالِب النار، والجمع أقباسٌ، وكذلك المقباس. ويقال: قَبَسْت منه ناراً أي: أقْتبِس قَبساً فأقبسني أي أعطاني منه قبساً، كذلك يقال: اقتبست منه علماً أي استفدت من بعض علمه وقال الكسائي: قولنا (اقتبست منه علماً) و(اقتبست منه ناراً) سواء في الدلالة. وفي الحديث: أتيناك زائرين ومقتبسين أي طالبي العلم، فإن كان طالبا له قال: أقبسته، ويقال: قبسني ناراً

(١) سورة: النمل٧.

ومالاً ويقال: أقبسناه ما سمعنا من رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أي أعلمناه بما سمعنا إياه والقوابس: الذين يقبسون الناس الخير يعني يعلمونهم[١].

الاقتباس اصطلاحاً:

يقول الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) عند صياغته لمصطلح الاقتباس بانه: تضمين الكلام – سواء أكان نثرا كان أم شعرا – من القرآن أو الحديث، من غير دلالة على أنه منهما، أي يكون النص خاليا من الإشعار بذلك الاقتباس، فلا يقول المقتبس: قال الله سبحانه كذا وكذا، أو قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذا وكذا ولهذا يحسن المقتبَس (بفتح الباء) حين يكون مندمجاً في الكلام اندماجاً تاماً، حتى يصير كأنه من كلام المقتبس نفسه. وبين انه أحد الفنون البديعية عند البلاغيين، وأن أول من وضع هذا المصطلح فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ). وكان معروفاً قبل الرازي باسم التضمين[٢]. الا ان مصطلح « الاقتباس » يحسب لفخر الدين الرازي فهو من وضعه في ساحة البلاغة، وكان قد خصه بالقرآن، أي جعل الاقتباس مقصوراً على ما يؤخذ من القرآن فحسب، وتابعه على ذلك بعض البلاغيين[٣]. وأصحاب البديعيات[٤] وعلل بعضهم تسمية هذا الفن بالاقتباس تعليلاً لطيفاً فقال: ((سمي الإتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباسا أخذا من اقتباس نور المصباح من نور القبس، وهو الشهاب، لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية))[٥].

(١) ينظر: لسان العرب للامام العلامة أبي الفضلجمال الدينمحمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ج ٦،دار صادر،، (د.ت)، بيروت: ١٦٧.

(٢) ينظر: الاقتباس انواعه واحكامه، للدكتور عبد المحسن بن عزيز العسكر، ط١،مكتبة دار المنهاج، (١٤٢٥ هـ) الرياض،: ١٣-١٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق :١٤.

(٤) البديعيات في الأدب العربي اعداد علي ابو زيد، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م:٤٦.

(٥) تلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتجريد في علم المعاني والبيان والبديع، مطبعة السعادة، (١٩١١م): ٤٧٦.

ورأى عصام الدين الإسفراييني (ت ٩٤٥ هـ) أنه « ينبغي أن يلحق بالاقتباس تضمين الكلام شيئا من كلام عظماء الدين، لا سيما الصحابة الكرام والتابعين العظام ومن ينخرط في سلك هذا النظام » [١] وتابعه المرشدي (ت١٠٣٧هـ) وزاد عليه أن الاقتباس يكون أيضا بتضمين الكلام شيئا من الفقه أو الأثر أو الحكمة[٢] وكان الطيبي (ت٧٩٣هـ) من قبل قد رأى أن الاقتباس يكون في الفقه، أي من مسائل الفقه واصطلاحاته، [٣] واعترضه ابن مالك العيني (ت٧٧٩هـ) بأنه لا معنى لتخصيصه بالفقه، فإننا إذا قلنا بذلك اتسع الباب، وجرى الاقتباس في العلوم الأخرى، كالنحو والعروض والأصول والحساب وغيرها. [٤]وقد عرف «حسين المرصفي» الاقتباس بقوله: (هو أن يزين المتكلم كلامه بعبارة من القرآن الكريم يظهر أنه منه، وإنما يحسن ويكون مقبولا إذا وطن لها في الكلام بحيث تكون مندرجة فيه، داخلة في سياقه دخولا تاما، فالاقتباس يكون اقتباسا إذا لم يكن إيراد ما يورد على سبيل الحكاية، وإلا كان استدلالا واستشهادا)[٥].

يناقش أحد الدارسين مجموع تعريفات الاقتباس الاصطلاحية ليؤكد بأنها لا تبتعد بعضها عن بعض إلا في مسألة حسن التوظيف، أي حسن توظيف الاقتباس فهوية المصطلح وتعريفه مشترك في الأصل؛ ومختلف في الفرع؛ أي الاختلاف في مدى حضور هذا الأصل المقتبس وشكله ولعل ما يؤكد قولنا هو ما استحضره (القزويني) في تعريفه

(١) الحواشي النقية على كتاب البلاغة تأليف الشيخ محمد علي بن حسين المالكي،(د.ط) دار الكتب العلمية،، (د.ت)،بيروت، لبنان: ٣٤٠ ومابعده.

(٢) ينظر:الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريرى، ط١:مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،:٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق:٩.

(٤) المصدر السابق:٩.

(٥) تداولية الاقتباس في المنجز الروائي، أ.د. عبد القادر البار رحمة الله اوريسي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الجمهورية الجزائرية، جامعة قاصدي –مرباح – ورقلة:٢٠.

للاقتباس حين قال: (هو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه)[1] ويزعم الدارس انه لو دقق قليلا فيما قاله القزويني فانه سيخلص إلى فكرة حصر الاقتباس على النثر دون الشعر أو ربما يجسد فكرة التناص وحضور صاحب القول في النص الإبداعي، مع ملاحظة أن التضمين لا يخرج عن دائرة القرآن والسنة، وهذا ما نص عليه القدماء، في حين هناك من المحدثين من يضيف إلى التعريفات السابقة عناصر أخرى منها: الحكمة والأسطورة والقصص .. الخ، ويظهر ذلك في ما أورده « جمال مبارك « حين قال بأنه: ليس الأخذ من القرآن الكريم والحديث الشريف فقط، بل يحصل أن يرد في نصوص الشعراء القدامى، عن طريق استدعاء «حكمة» أو «مثل» أو «قصة» أو إشارة إلى «بيت مشهور»، حيث يقوم المبدع أحيانا – ببناء خطابه الشعري جملة بالاستناد إلى خطاب آخر من غير دائرته؛ أي خطاب النثر؛ فعملية البناء هنا شبيهة بعملية «العقد»؛ فوجه الشبه بين الاقتباس و«العقد» يلاحظ على المستوى الفني، أما الاختلاف بينهما فيكمن في تناسي هوامش النص الإضافية في الاقتباس، أما في العقد فيحافظ عليها[2]، ولعل هذا التعريف ملمّ وشامل في نظر ذلك أنه لم يحصر الاقتباس في نصّ بعينه، بل وسع دائرته متجاوزا في ذلك مسألة الحصر في النص المقدس . ولو حاولنا البحث في أسباب هذه الاختلافات، لوجدنا بأنها عائدة إلى المدة الزمنية التي تحد المصطلح منذ الولادة إلى وقتنا الحاضر، إضافة إلى تعدد استعمالاته، الأمر الذي جعله يتخذ أكثر من رؤية اصطلاحية؛ فالاقتباس في البلاغة والنقد القديم يحمل دلالة، وفي وقتنا الراهن أضيفت إليه دلالات أخرى؛ إذ مرّ المصطلح بتحولات زمنية تداخلت فيما بينها المصطلحات وتعددت، ولكنها لم تخرج عن الإطار العام له فهي في عمومها –

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، ط١،دار الكتب العلمية، (٢٠٠٢م)، (بيروت، لبنان):٣١٢.

(٢) ينظر: تداولية الاقتباس في المنجز الروائي، :٢١.

سلسلة مصطلحية قد تكون مكملة لبعضها البعض[١].

من تلك التعريفات اللغوية والاصطلاحية يبدو ان مصطلح الاقتباس يكاد ان يتداخل مع مصطلح التناص كلما تطور المفهوم وبدأ يتسع لغير نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذا ما جعلنا نفضل مصطلح الاقتباس لأنه اكثر تخصصا من التناص فالاقتباس يركز على النص القرآني؛ لأنّه: (تضمين الكلام جملة أو أكثر توافق لفظ القرآن أو الحديث)[٢].

ثانيا: نقد الاقتباس عند المشرّعين الإسلاميين:

يقسم الاقتباس في نظر بعض المشرعين على ثلاثة أقسام:

محمود مقبول، ومباح مبذول، ومردود مرذول.

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وآله سلم.

والثاني: ما كان في الغزل والصفات والقصص والرسائل ونحوها .

والثالث: على ضربين: أحدهما: اقتباس ما نسبه الله عزّ وجل إلى نفسه، كما قيل عن قائل من بني مروان: إنه وقع على مطالعة فيها شكاية عن عماله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٣]. والآخر: اقتباس آية كريمة في معرض هزل أو سخف[٤].

وعلى أساس ذلك فالاقتباس من الآيات والأحاديث والنصوص إما أن يكون مستحسنا او مباحا ومستكرها.

مثال الاقتباس المستحسن: من الاقتباسات المستحسنة قول الرجل: (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا)[٥] عندما يدعى إلى معصية قد تاب منها أو قول

(١) ينظر: تداولية الاقتباس في المنجز الروائي: ٢٢.

(٢) الاقتباس انواعه واحكامه، :١٥.

(٣) سورة الغاشية: ٢٥-٢٦..

(٤) ينظر: المصدر السابق، :٧٨ومابعده .

(٥) سورة الأعراف: ٨٩.

الإنسان المحزون: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] او ما شاكل ذلك[2].

مثال الاقتباس المستكره:

من الاقتباسات ما يجعل المقتبس يشبه نفسه بالله سبحانه تعالى او مستخفا بكلامه عز وجل، كقول أحد الشعراء: -

قلتُ وقد أوردَني حبُّه ... موارِداً ليسَ لَها مَصدر

أفسَدتَ دُنيايَ ولا دينَ لي ... تُفسِدُه فاصدَع بِما تُؤمَرُ

وقد تندر عليه الشيخ النابلسي: بقوله: (بما انه لا دين له فلا يعترض على اقتباسه السيء هذا)[3].

وبهذا يتبين ان الاديب المقتبس من القرآن الكريم يجب ان يكون مثقفا بالادب مع النص القرآني وكذلك يحتاج إلى معرفة بالسياق القرآني الذي ورد فيه الاقتباس والا قد يسيء في اقتباساته وقد أيد السيوطي هذا التقسيم وقال: (وهذا التقسيم حسن جدّاً، وبه أقول)[4].

ثالثا: علاقة الاقتباس بالامتدادات:

لقد تنزل القرآن الكريم على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وتلقته عترته الطاهرة تلقيا كاملا؛ فالنصّ القرآنيّ بمفرداته وأساليبه وآلياته اللغوية كان مسيطرًا على ألسنتهم وحاكما على أساليبهم، ويجري على لسانهم جرياً طبيعياً بصورة قد لا يشعر بها المتلقي؛ فالاستعانة بالقرآن الكريم فنّ لغويّ خاص يظهر في زيارات

(١) سورة يوسف: ٨٩.

(٢) :ينظر: الاقتباس انواعه واحكامه، :٨١.

(٣) سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي ضبطه وصححه محمد عبد القادر شاهين (د.ط)، دار الكتب العلمية، (د.ت): ١/ ٣٠٨ .

(٤) الاتقان في علوم القران، للسيوطي (٩١١ هـ)، تصحيح: محمد سالم هاشم، (د.ط) دار الكتب العلمية،(د.ت)، بيروت، لبنان: ١٧٠.

الإمام الحسين (عليه السلام) والمروية عن الإمام الصادق (عليه السلام)[١]؛ فالاقتباس في تلك الزيارات هو إحضار للنص بنفسه أو بتغيير بسيط فيه وكذلك تكتنز تلك الزيارات بالتناص الذي يعني وجود مضمون فكرة النص السابق في النص الجديد وهو امتداد واستمرار لهما. وتكمن الغاية من الاقتباس في النصوص تزيين تلك النصوص بالقرآن الكريم، لتظهر مزينة بأسمى بلاغة لغوية وعلى مرّ العصور ألا وهي بلاغة القرآن الكريم[٢]، إذ أن (التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه، وأنه أعلى كلام وأرفعه، وأنه بهر العرب، فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله)[٣] ولذا فإن الاقتباس منه تفخيم لشأن النص الجديد وجمال فني أخاذ، وبلاغة عالية وبذلك يفتح الاقتباس الدلالات الموجودة في النص بالإفادة من دلالات اللفظ القرآني، ثم إن هذا الفن يؤكد أن المنشئ متعمق في النص القرآني بشكله وألفاظه وتراكيبه وفي دلالاته مما مكنه ذلك من توظيف الألفاظ والآيات والدلالات القرآنية في تراكيب ودلالات جديدة في نصه الإبداعي؛ ومن خلال هذا التبحر في القرآن تكون ألفاظ القرآن الكريم هي الغالبة على أسلوبه ويكون النصُّ موجهًا إلى الوجهة القرآنية التي يريدها الله تعالى، فيمنح بذلك قوة أسلوبية، ودلالة قرآنية بلاغية منفتحة، تعطي النص أبعادًا أُخرى[٤].

المسألة الثانية: مفهوم الامتدادات القرآنية

تعريف الامتدادات القرانية:

الامتدادات القرآنية مصطلح لم أجده من بين المصطلحات المتداولة والمعروفة

(١) ينظر: الاقتباس القراني في زيارة الامام الحسين (عليه السلام)،م،م حسن جميل الربيعي، مجلة الاصلاح الحسيني، العدد الثلاثون السنة الثامنة ٢٠٢٠ م، :١٨٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، :١٩٢.

(٣) التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، د.ط. مصورات مكتبة الصدوق، (د.ت) :٩.

(٤) ينظر: التعبير القرآني: ١٩٢ ومابعدها.

ويبدو أنه من مبتكرات الدكتورة ابتسام المدني[١] ظهر لأول مرة في بحثها الموسوم: (قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام) المنشور في مجلة (الاصلاح الحسيني)، في العدد الرابع والعشرين - السنة السادسة، ١٤٣٩-٢٠١٨ ويبدأ من الصفحة (١٦٠)[٢].

تقول د.ابتسام المدني في تعريفها لمفهوم الامتدادات القرآنية بأنها (تنطلق من المفردات والمركبات التي استعملها - الامام عليه السلام - في الحوار، لتشير إلى أماكنها في القرآن الكريم وكأنها تدلنا من طرف خفي على مراد الإمام (عليه السلام) على السياق القرآني الذي وردت فيه تلك المفردة أو ذلك المركب لتثري مقصود المتكلم . فنتناول فيه المفردات والمركبات القرآنية المقتبسة في كلام الإمام، ثم متابعتها في القرآن الكريم أينما وجدت ثم النظر إلى دلالة الآية التي تحمل تلك المفردة أو ذاك المركب، وبعد ذلك - النظر - إلى دلالة الآية في سياق السورة)[٣].

وتأسيسا على ذلك فإن مصطلح الامتدادات القرآنية وفاقًا لتلك الرؤية يرسم منهجا بحثيا خاصا ينطلق من تحديد الاقتباس القرآني في النص الخطابي للإمام (عليه السلام) ليعود به إلى السياق القرآني، محدَّدا النص المكتمل المعنى الذي يحتوي على ذلك الاقتباس فيسلط عليه الأضواء ليجد امتدادات المقاصد التي يروم الإمام (عليه السلام) إيصالها إلى المتلقي في الحال أو المتلقي في المستقبل إذ تقول الدكتورة المدني: (لقد دمجت السيدة زينب في كلامها لونين من فنون البلاغة: (الاقتباس والتعريض) فاقتبست من القرآن الكريم مفردات وتراكيب وأطلقت كلامها لتشير إلى أكثر من مستوى دلالي؛ فالاقتباس يشير إلى معنى قريب يوضح المراد الظاهر الصريح، و(التعريض) تريد

(١) أ.د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني: أستاذة الدراسات القرآنية والنقدية والبلاغية في جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية.

(٢) ينظر: مجلة الإصلاح الحسيني العدد الرابع والعشرون-السنة السادسة، ١٤٣٩-٢٠١٨،:١٦٠ ومابعده.

(٣) قبس من الامتدادات القرانية في خطاب السيدة زينب عليها السلام ١٦٠-١٦١.

به معنى بعيدا يُعرف من موطن الاقتباس في سياقه القرآني. وبذلك يحمل هذا الفن الكلامي بُعدين: بُعدًا قريبًا مفهومه آنيٌّ وهو صحيح وصادق ينطبق على الواقع، وبُعدًا بعيدًا يُفهم من خلال دراسة النص القرآني الذي اقتبس منه)[١].

وتناقش الدكتورة ابتسام المدني صلاحية استنباط مصطلحات حديثة على نصوص وردت على السنة أهل البيت (عليهم السلام) بقولها: (في البلاغة العربية فنون قولية استُنبِطتْ أحكامُها وقُعِّدَ لها من خلال متابعة كلام البلغاء السابقين أولئك الذين صُنعت البلاغة بفطرتهم وراحت تنساب على ألسنتهم ولما تقدمت الحياة وتطورت بدأت الدراسات البلاغية كأنما تضع القواعد بحسب الفطرة العربية وتصوغها في قوانين وصفية تارة ومعيارية تارة أخرى .وما علم البلاغة في أقسامه الثلاثة: المعاني والبيان والبديع وما تفرع من تلك الأقسام إلا شواهد على ذلك)[٢]. (وما السيدة زينب -عليها السلام- إلا ركن في عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[٣] وهي سلالة العروبة والبلاغة والحكمة والموعظة الحسنة فالنظر في أقوالها لابد أنْ يأخذ أبعادًا تتجاوز المقام الذي قيلت فيه وتتجاوز حدود إفهام المتحدَث له لأن أهل البيت عليهم السلام يوضحون دستور الإسلام في كل فرصة تتاح لهم ولما كانت غالبية الفرص حين تتاح لهم محفوفة بالمخاطر كان كلامهم قليلًا في مفرداته عميقًا في دلالته بعيدًا في شأواه يرومون به تقويم سلوك الحاضر والمستقبل. لذا كان من واجب من يسعى إلى فهم كلامهم ألّا يكتفي بظاهر القول أو بظاهر المراد الآني إنّما يجب أن يبحث في أبعاد الكلام. ومن أبعاد الكلام لمستُ شيئًا أطلقتُ عليه صفة (الامتداد القرآني) في كلام السيدة زينب (عليها السلام) وما الامتداد القرآني إلا ما ينقدح من الاقتباسات القرآنية التي تأتي بها السيدة

(١) المصدر السابق :١٦٣.

(٢) قبس من الامتدادات القرانية في خطاب السيدة زينب عليها السلام:١٦٣.

(٣) العترة في اللغة: وعِتْرَةُ الرجل: أَقْرِباؤه وأَن عترة رسولُ الله، صلى الله عليه - وآله - وسلم، ولدُ فاطمة، رضي الله عنها.

زينب. إذ وجدتُ أن اقتباساتها لا تكون اقتباسات سطحية إنّما تشير إلى مكان ذلك الاقتباس من القرآن الكريم. ولم تكن هذه الدراسة تجربتي الأولى فقد كانت لي دراسة سابقة تم اكتشافها مع الإمام الكاظم عليه السلام)[1].

وعلى أساس ما قد مضى سيكون الفصل الثاني تطبيقا على الاقتباس القرآني في الخطبة العاشورية للإمام الحسين عليه السلام.

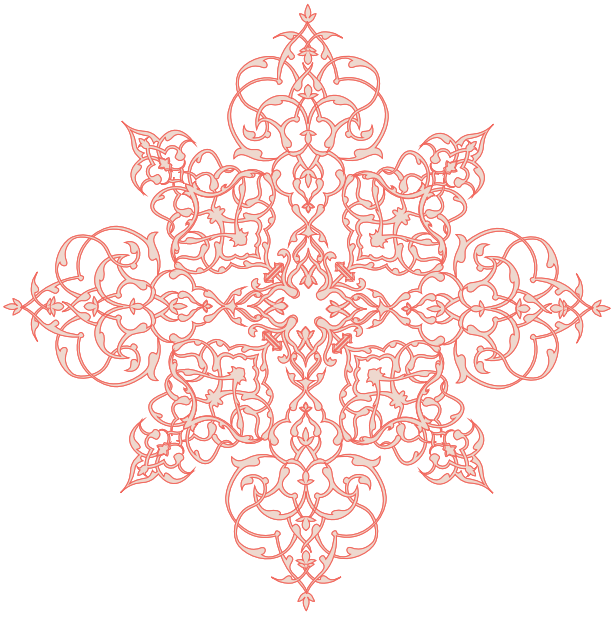

(١) قبس من الامتدادات القرانية في خطاب السيدة زينب عليها السلام: ١٦٠-١٦١.

المبحث الثاني: امتدادات الخطبة العاشورية في السور القرآنية

يفترض البحث أن الاقتباس القرآني في خطبة عاشوراء له امتداد في كل نصّ قرآني يحمل موضوعًا واحدًا والمبحث الثاني من هذا الفصل اختبار للفرضية.

المسألة الأولى: امتدادات الاقتباس الحسيني الأول في سورة يونس:

قال الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته: «**أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حق لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتهم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النَّصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[1].

تحليل الخطاب ودلالته:

وجه الإمام نداءه إلى هؤلاء القوم بقوله «**أيها الناس**» ثم أتبع النداء بعدد من الأساليب الإنشائية، وكان أسلوب الطلب هو المهيمن على القسم الأول من خطابه،

(١) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان تصنيف الامام شمس الدين (٦٥٤ هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، (د.ط)، دار الكتب العلمية بيروت، (١٩٧٧م): ٥/ ٢١٧ ومابعدها .

لأن المقام الذي قيل فيه الخطاب وغرض الإمام منه يتطلبان هذا النوع من التراكيب، فالإمام أراد أن يعظ القوم بما هو حق لهم عليه بوصفهم مسلمين وهو إمام عصرهم، فقد جاء بعد النداء «**اسمعوا، لا تعجلوا**» وغرض الإمام من هذا هو تهيئة القوم لسماع ما يريد قوله وما يريد ان يعظهم به، ويأتي قوله «**أعظكم بما هو حق لكم عليَّ**» من كونه إماما مفترض الطاعة ومن أهل البيت فمن حق هؤلاء القوم وهم يدينون بدين جده أن ينصحهم ويبصرهم بعاقبة ما يريدون الإقدام عليه من عمل، ويأتي هذا من باب تطبيق مبادئ الدين الإسلامي في مثل هذه المواقف وإلقاء الحجة عليهم وهم أحرار في قبول ما يقول أو رفضه.

وبعد هذا المدخل انتقل الإمام إلى أمر آخر هو تقديم العذر عن مقدمه إلى هذا البلد وقد بنى هذه الفقرة من خطابه على أسلوب الشرط الذي يرتبط فيه طرفا الخطاب «**فان قبلتم عذري... كنتم أسعد، وإن لم تقبلوا... فأجمعوا...**»، ويبدو من خلال أسلوب الشرط الذي بني عليه الإمام هذه الفقرة من خطابه أنه قدم العذر عن قدومه إلى هذا البلد وقبوله دعوة أهلها، فإن قبلوا ذلك منه كانوا أسعد في دنياهم وآخرهم، وإن لم يقبلوا ذلك فهو مستعد للقتال والدفاع عن أهدافه، يبدو ذلك واضحا من خلال الآية التي مثلت جواب الشرط «**فأجمعوا أمركم وشركاءكم...**» لقد أراد الإمام من هذا إلقاء الحجة على هؤلاء القوم وهو يعرف أنهم لا يقبلون منه ذلك؛ لأن الأمر ليس في أيديهم إنما هم أداة تنفيذ... ومن هنا لم يكن أمامه بد من القتال)[1].

يطالعنا الاقتباس الأول في قوله عليه السلام: «**فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون**»[2] وعند العودة إلى النصّ القرآني

(١) الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل، :١٠٠ ومابعدها .

(٢) سورة يونس ٧١.

نجد أن الاقتباس من سورة يونس. ومن قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾[1]

الامتدادات في سورة يونس:

تعريف بالسورة:

اكثر الاقوال تقول انها مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ إلى آخرهن، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾، فإنها نزلت في اليهود بالمدينة. وورد في فضلها: أن من قرأها يُؤمَن عليه من الجهل. وقيل إن تناسبها مع سورة التوبة قبلها: انها افتتحت بحديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] كما اختتمت سورة التوبة بذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[3] عدد آياتها: مائة وتسع آيات.

ارتبط اسم السورة بقوله تعالى: ﴿ فلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[4]

فالتساؤل المعروض هل هناك إشارات رمزية بين هذه الآية التي تشير إلى اسم السورة والقضية التي يتناولها الحسين (عليه السلام) في خطبته؟

(١) سورة يونس ٧١.
(٢) سورة يونس: ١-٢.
(٣) سورة التوبة: ١٠٩.
(٤) سورة يونس ٩٨.

أما قصة هذه القرية فتقول الروايات ان يونس (عليه السلام) دعا أهلها إلى الايمان بالله عز وجل، وابلغهم برسالته فكذبوه وتمردوا على التشريع واصروا على كفرهم وعنادهم، فاعتزل النبي يونس (عليه السلام) قومه ودعا عليهم فندم القوم على ما كان منهم بشأن نبيهم، فاجتمعوا خارج المدينة، ولبسوا اللباس الخشن وعجوا إلى الله سبحانه بالدعاء، وإظهار الإيمان والتوبة، والتضرع والمسكنة حتى قيل انه قد بكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، خوفا من الله سبحانه وندما حتى رجع اليهم يونس (عليه السلام) فاتبعوه وأطاعوه فقبل الله توبتهم ورفع عنهم العذاب[1].

وجوابا عن السؤال السابق يبدو ان هناك امتدادات من الاقتباس الحسيني إلى هذه القصة حيث أن هناك تشابهًا في الأجواء وتناسبًا بين الموقفين؛ فموقف قوم يونس (عليه السلام) وموقف قوم الحسين عليه السلام كلاهما كذبوا الحق ولجوا بالتكذيب والطغيان وقد ذكر في قصة يونس (عليه السلام) ان قومه كذبوه في دعواه وتمردوا عليه على الرغم من علمهم بصدقه وصدق دعوته[2].

وإذا تابعنا تاريخ الطف نجد ان القوم الذين جاءوا لمحاربة الحسين (عليه السلام) يعرفونه معرفة حقة وقد ورد في خطبته عليه السلام: «**أيها الناس: انسبوني من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه**»؟ فالكل كان يعرفه ويعلم صدقه وصدق دعواه. فمكانة الحسين لم تكن تدانيها مكانة وهم بها عارفون وبها متيقنون لكنهم كما هو حال قوم يونس فقد تشابهت الأجواء فقومه يعرفونه تماما ويعرفون صدقه لكنهم طغاة معاندون. كما كان قوم يزيد يعرفون الحسين تماما ولكن الطغيان اعمى قلوبهم.

(١) الامثل في تفسير الكتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ط١ (ايران) ٥/ ٤٤٥.

(٢) ينظر: قصة يونس عليه السلام / مصطفى بن العدوي/ دار بلنسية: ١٦.

ونتلمس جمال اختيار الاقتباس عند الحسين عليه السلام من تلك السورة المبارك فاسمها الذي يذكر بقصة النبي يونس يبعث بشارة لمن يتوب من القوم ويعود إلى الحق فقد بينت السورة ان قوم يونس انتفعوا بالتوبة فوصلوا إلى كشف الضر قال تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1] فلم يكن أهل قرية آمنوا عند معاينة العذاب فنفعها ايمانها بعد حال اليأس الا قوم يونس وهذا استثناء حيث إن المعاندين لا تنفعهم التوبة حين يرون العذاب[2].

وهذا تطمين آخر للتائبين يفهم من امتداد الاقتباس الحسيني من سورة يونس فهي تشير إلى أن أبواب التوبة مفتوحة تنتظر التائبين حتى لو كان العذاب قد حلّ قريب منهم ولكن قوم يزيد لم يؤمنوا ولم يتوبوا ولذلك لم يرفع عنهم عذاب الخزي لا في الحياة الدنيا ولا في الحياة الآخرة. فلم ينتفع من التذكير الحسيني الا الحر الرياحي الذي فاز في الدنيا والاخرة وبشره الحسين عليه السلام بقبول التوبة في الحياة الدنيا ودخول الجنة في الحياة الاخرة[3].

اما الاخرون فقد خسروا الدنيا والآخرة ففي الدنيا لم يمهلوا كثيرا بعد فاجعة الطف حيث مات يزيد بن معاوية سنة (٦٣) للهجرة[4] ثم وقعت ثورة المختار الثقفي عام٦٦ هـ ليسومهم سوء العذاب، تحت شعار: (يالثارات الحسين) فاقتص ممن شارك في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وعجلت الأرادة إلهية بتنفيذ القصاص فقتل شمر

(١) سورة يونس: ٩٨ .

(٢) ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (٧١٤هـ)،تصحيح: عبد السلام محمد علي شاهين، (د.ط)، دار الكتب العلمية، (بيروت،لبنان١٩٧١)٢/ ٤٦٥ .

(٣) ينظر: مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، لابي مخنف، ط٢، مكتبة الالفين، ١٩٧٨م، الكويت:١١٩ ومابعدها.

(٤) الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من ادم إلى ازمنتنا الحاضرة عبد السلام العمراني الخالدي،د.ط،، دار الكتب العلمية،د.ت، بيروت، لبنان:٦٨.

بن ذي الجوشن وعمر بن سعد بن أبي وقاص قائد جيش عبيد الله بن زياد الذي رمى أول سهم تجاه معسكر الحسين وقال: (اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن...)[1] ثم قتل عبيد الله بن زياد ومعه العديد من قادة جيش الشام[2]. وهكذا يتضح جمال الاقتباس الحسيني حيث يمكن من خلاله قراءة مستقبل القوم الذين اشتركوا بقتاله قبل ان يحصل.

المسألة الثانية: امتداد الاقتباس الأول في النص المختار من سورة يونس:

النص الحسيني اقتبس من الاية المباركة: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[3].

اذا حددنا آيات النص القرآني الذي اقتبس منه نجده يتمثل في النص الاتي: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[4]

فالنص في موضوع واحد يحده من الأعلى امر للرسول بالاعلان عن ان اهل الافتراء

(١) شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى،سالم لذيذ وادي الغزي، العتبة العلوية المقدسة، ط:١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، (٢٠١٥م): ٣٠٧- ٣١٥ ومابعدها.

(٢) ينظر:المصدر السابق، ٣٣٠.

(٣) سورة يونس: ٧١.

(٤) سورة: يونس

والكذب لا يفلحون وان مردهم إلى الله وسيعذبهم عذابا شديدا[1] ويحده من الأسفل حديث عن بعث موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون.[2] مما يؤكد سلامة حدود النص الذي اقتبس منه الحسين عليه السلام.

فاذا انطلقنا من الاقتباس إلى اعلى النص نجد قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فالآية تمتد إلى الماضي العميق إلى عهد نوح عليه السلام وهو عهد يعيه قوم يزيد والتمثل بالامثال السابقة ثقافة معروفة لديهم وقد وعوا ذلك الدرس وعرفوه لانهم من الامة الإسلامية. يقول سيد قطب في تفسير الاية: (إن الحلقة التي تعرض هنا من قصة نوح، هي الحلقة الأخيرة: حلقة التحدي الأخير، بعد الإنذار الطويل والتذكير الطويل والتكذيب الطويل. ولا يذكر في هذه الحلقة موضوع السفينة ولا من ركب فيها ولا الطوفان، ولا التفصيلات في تلك الحلقة، لأن الهدف هو إبراز التحدي والاستعانة باللهّ وحده، ونجاة الرسول ومن معه وهم قلة، وهلاك المكذبين له وهم كثرة وقوة. لذلك يختصر السياق هنا تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة. ويختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة، لأن هذا هو مقتضى السياق في هذا الموضع... إن كان الأمر قد بلغ منكم مبلغ الضيق، فلم تعودوا تتحملون بقائي فيكم ودعوتي لكم؛ وتذكيري لكم بآيات اللهّ. فأنتم وما تريدون. وأنا ماض في طريقي لا أعتمد إلا على الله: «**فَعَلَى اللهِّ تَوَكَّلْتُ**» عليه وحده فهو حسبي دون النصراء والأولياء. «**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ**» وتدبروا مصادر أمركم وموارده، وخذوا أهبتكم متضامنين: «**ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً**» بل ليكن الموقف واضحا في نفوسكم، وما تعتزمونه مقررا لا لبس

(١) قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠ ﴾ سورة: يونس.

(٢) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۝٧٤ ﴾ سورة: يونس.

فيه ولا غموض، ولا تردد فيه ولا رجعة. «**ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ**...» فنفذوا ما اعتزمتم بشأني وما دبرتم، بعد الروية ووزن الأمور كلها والتصميم الذي لا تردد فيه «**وَلا تُنْظِرُونِ**» ولا تمهلوني للأهبة والاستعداد، فكل استعدادي، هو اعتمادي على اللهّ وحده دون سواه. إنه التحدي الصريح المثير، الذي لا يقوله القائل إلا وهو مالئ يديه من قوته، واثق كل الوثوق من عدته، حتى ليغري خصومه بنفسه، ويحرضهم بمثيرات القول على أن يهاجموه! فما ذا كان وراء نوح من القوة والعدة؟ وما ذا كان معه من قوى الأرض جميعا؟ كان معه الإيمان القوة التي تتصاغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها الكثرة، ويعجز أمامها التدبير. وكان وراءه اللهّ الذي لا يدع أولياءه لأولياء الشيطان)![1].

لا يتمكن الدارس وهو يكتشف هذا الرابط العجيب بين االاقتباس الحسيني وبين امتداده في القرآن الكريم الا ان يكبر تعجبا بهذه البصيرة الحسينة فهو في ساحة المعركة والقرآن مفتوح امام سعة بصيرته مكشوف امامه ينهل منه حيث يشاء. نعم فقد حدثهم الحسين عليه السلام بكلام شبيه بالذي قاله نوح عليه السلام فقد ورد في تلك الخطبة قوله عليه السلام: «**أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حق لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتهم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[2]، فالحسين عليه السلام أيضا في الحلقة الأخيرة من الإنذار الطويل فان كان هذا المقام الحسيني قد كبر عليهم فهو على قرار ثابت وعلى بصيرة من امره.

(١) في ظلال القران سيد قطب، (د.ط)، ١٤٢٣ هـ،دار الروق، بيروت، لبنانج٣،: ١٨١١.

(٢) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان،: ٢١٧ومابعده.

وقد توكل على الله وليس له قرار آخر فاجمعوا قراركم واقبلوا على الحرب التي يعلم انه مرفوع بها إلى ربه.

إنّ الامتداد القرآني حين يمتد إلى الماضي يقارب بين الحالين حال نوح وهو يلح على قومه بقبول الحق من اجل حياتهم في الدنيا والاخرة وهم لا يستجيبون والاحاح الحسين عليه السلام على القوم ليتدبروا امرهم ويعودوا إلى الحق وكذلك هو لا يريد لهم الا الحياة الحرة ولكنهم لا يستجيبون. واما اذا انطلقنا من الاقتباس إلى الأسفل منه فنجده قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] أي: (فإن أعرضتم عن تذكيري بعد دعائي إياكم وتبليغ رسالة ربي إليكم فلن يضرني، فإني لم أسالكم على ما دعوتكم إليه أجراً ولا جزاء، وما جزاء عملي وثوابي إلا على ربي الذي أرسلني إليكم، فهو يوفيني إياه، آمنتم أو توليتم، وأمرت أن أكون من المنقادين بالفعل لما أدعوكم إليه)[2].

وهكذا نجد ان الامرين سيان فليس نوح عليه السلام يبغي من دعوته امرا دنيويا ولا الحسين عليه السلام يبتغي ذلك. فالحسين عليه السلام لم يقدم طلبا لسلطان او جاه او مال انما وجد الناس فيه عليه السلام الملجأ الأخير والقدوة المثلى اجج فيهم الامل في القدرة على الوقوف بوجه الطغاة حين امتنع من الاستجابة لامر معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد وقد اخذها معاوية من الناس تحت سياط الخوف والتهديد والوعيد واخرى أعطيت له من أصحاب الاطماع الذين لا دين لهم الا دنياهم. فتسلط على اموال المسلمين واسرف بها تاركا الفقراء والمساكين والجياع. وقد اشتهرت مقولة الحسين عليه السلام حين طلبت منه البيعة ليزيد: «**إنّا أهل بيت النبوة... ويزيد رجل فاسق شارب**

(١) يونس: ٧٢.

(٢) تفسير المراغي، لاحمد مصطفى المراغي، (د.ط) دار الكتب العلمية، (د.ت) بيروت، لبنان:٢٦٣.

الخمر قاتل النفس المحرمة معلن للفسق ومثلي لا يبايع مثله»[1] فكاتبه اهل العراق وانهم بايعوه واستنصروه فكان القدوم الحسيني إلى الكوفة[2]. فما اشبه تولي قوم نوح عن نبيهم حين يقول لهم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وتولي قوم يزيد عن ابن بنت نبيهم الحسين عليه السلام وهو لا يريد منهم اجرا ولا سلطانا ولا مالا انما يريد لهم الفلاح في الدنيا والاخرة ورفع الذل عن الانسانية.

واذا نزلنا عن الاقتباس خطوة أخرى نجد قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[3] يعني: «فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك) أي فأصروا على تكذيبه بعد أن أقام عليهم الحجة بقوله وعمله على حقيقة دعوته، فنجيناه هو ومن آمن معه في السفينة التي كان يصنعها بأمرنا. ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذبوه بعد أن أنذرناهم فأغرقناهم وحقت عليهم كلمة ربك . فانظر أيها الرسول بعين بصيرتك وعقلك كيف كانت عاقبة الذين أنذرهم رسولهم وقوع عذاب الله بهم وأصروا على تكذيبه، وهكذا تكون عاقة من يصرون على تكذيبك من قومك، وعاقبة المؤمنين لك)[4].

السماء تفتح لنا بهذا الامتداد أفق المستقبل لهذه الرسالة الحسينية فهي لا تشرق الا بتكذيب المكذبين وهكذا ينجو الحسين عليه السلام برسالته وبامر ربه فصار وتسعة

(١) ينظر:الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين، عبد الكريم القزويني، (د.ط)، مطبعة النعمان،١٩٧١م، النجف الاشرف،: ١٣.

(٢) مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء: ٢٧-٢٨.

(٣) سورة: يونس.

(٤) تفسير المراغي، :٢٦٣.

معصومين من ذريته خلائف الأرض وغرق الذين كذبوا فاين الحسين عليه السلام رسالة وذكرا وموالين ومحبين وعاشقين ومضحين وأين يزيد وزبانيته تلعنهم افعالهم واتباعهم إلى يوم الدين.

فالحسين عليه السلام لم يخرج اشرا ولا بطرا انما خرج للإصلاح في امة جده صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان افسدها الحكم الاموي وكان الفساد يتمثل بامرين شاملين: الأول: يتمثل بشخص يزيد بن معاوية؛ فهو شخصة متجاهرة بالفسق والفجور وشاربا للخمر ومروجاً له،لا يتورع عن والمحرمات قصره حافل بمجالس اللهو والخمر.[1] واما الامر الثاني: فهو الحكم بقوة السيف والقتل والترويع ومحاولة اخذ البيعة بالقوة والاكراه والاذلال. ويمثل ذلك مقولة الامام الحسين عليه السلام في ذلك: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السّلام إذا بليت الامة براع مثل يزيد**»[2]. وكان قد ارسل اهل الكوفة الرسائل تلو الرسائل إلى الامام عليه السلام من اجل قدومه حين سمعوا بامتناعه عليه السلام من بيعة يزيد.[3] ويذكر التاريخ ان من بين الكتب التي بعثت اليه كانت من كبار القوم وقد قيل في تلك الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجية ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر الأسدي ومن معه من المسلمين. السلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد:- فانا نحمد الله الذي لا إله الا هو ونصلي على محمد وال محمد واعلم يا بن محمد المصطفى وابن علي المرتضى آن ليس لنا أمام غيرك فاقدم الينا لنا ما لك وعليك ما علينا فلعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى واعلم انك تقدم على جنود مجندة وانهار متدفقة وعيون جارية فان لم تقدم على ذلك فابعث الينا احداً من

(١) ثورة الامام الحسين (ع) وموقعها فى مسار الامة الاسلامية حاتم نورى مجلة التوحيد، العدد ٧٢: ٦٧.

(٢) مقتل الحسين (عليه السلام) موفق بن احمد انوار الهدى،، (د.ط) (د.ت) ١/ ٢٦٨.

(٣) مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء،،: ٢٧-٢٨.

اهل بيتك يحكم بيننا بحكم الله تعالى وسنة جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الامارة ولسنا نشهد معه جمعة ولا جماعة ولو انك اقبلت الينا لكنا اخرجناه إلى الشام والسلام)[١]، وبعد هذه الرسالة توالت الرسائل عليه عليه السلام[٢].

ان يزيد الذي يعود نسبه إلى بني امية وهم على العكس من سجية العرب فهم ليسوا من اهل النجدة ونصرة الحق[٣] ولا يعرفون من شعائر العبادة الا صناعة يروجونها لمنفعتهم الخاصة وايهام الناس بانهم مسلمون[٤]. وهو مثالهم البارز حيث انه (هو اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء وآوى المغنين،واظهر الفسق)[٥] وقد عاث في الأرض فسادا وقد تسلم دولة واسعة الأرجاء، غنية، فأقبل على الملك بلذاته، اقبال من يظن ان الأمور تجري على وفق مشيئته فاذل الناس بالزامهم طاعته، ومن عصي فليس له إلا السيف، فحصلت على يديه المأساة تلو المأساة كان افدحها مأساة كربلاء.[٦]وكانت هي خاتمتهم المشابهة لخاتمة قوم نوح فاولئك كان مصيرهم الغرق والاندثار وبقاء نوح ورسالته وذكره إلى يومنا هذا وذاك يزيد لا تذكر الا مساوئه وهذا الحسين عليه السلام القلعة الصامدة بوجه هجمة معاوية ويزيد متمسكا بقول جده صلى الله عليه وله وسلم: «**من رأي سلطاناً جائراً مستحلا لحرام الله ناكثاً لعهده مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في**

(١) المصدر السابق: ٢٨-ومابعده.

(٢) المصدر السابق: ٢٨-ومابعده.

(٣) ينظر: الحسين ابو الشهداء، عباس محمود العقاد، (د. ط)،مكتبة ابو العس الالكترونية، (د. ت)،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.: ٢٤.

(٤) ينظر:المصدر السابق: ٢٦.

(٥) الاغاني لأبي فرج الاصفهاني. (٣٥٦ هـ)،شرح عبدا علي مهنا، دار الكتب العلمية، (د.ت) بيروت، لبنان ١٧/ ٣٠١.

(٦) ينظر: تاريخ الدولة الاموية، الدكتور محمد سهيل طقوش (ط:٧)، دار النفائس (٢٠١٠م)، (بيروت، لبنان): ٤٣.

عباده بالاثم والعدوان فلم يثر عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله»[1] وها هم اولياؤه يعمرون مشارق الارض ومغاربها مضحين بالغالي والنفيس لمواصلة الدرب والرسالة الحسينية.

وبهذا نصل إلى صدق فرضية البحث بان الاقتباس الحسيني له امتدادات في كامل النص القرآني الذي اقتبس منه وان هذا الرمز في قصة نوح عليه السلام جاء رمزا مصدقا لوصف الرسول صلى الله عليه وال وسلم الذي وصف به الحسين عليه السلام فقد أورد المجلسي في بحاره انه: (عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله عليه السلام: مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين، قال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبيا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله (مصباح هدى، وسفينة نجاة، وإمام غير وهن وعز وفخر وعلم وذخر**»)[2] فالحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة للعالم كله كما هو نوح عليه السلام في زمانه.

وهكذا يقدم الامام عليه السلام ملبيا الدعوة لانها أصبحت واجبا شرعيا وفرضا من الفرائض حيث يقول: «**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب**»[3] لكنه قبل وصول الحسين عليه السلام كان يزيد وزبانيته قتلوا من قتلوا وسجنوا من سجنوا ولم يبق الا المتخاذلون فكانت الوقفة العاشورية وكانت الخطبة العاشورية هي الحلقة الأخيرة في المشهد حيث تمثل الحسين

(١) ينظر: الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين،: ١٣.

(٢) بحار الانوار / ٩١: ١٨٤.

(٣) بحار الأنوار/ ٤٤:٣٢٩.

بنص من سورة يونس عليه السلام لينقل للحاضرين ان كانوا يعون والى الأجيال عبر سورة يونس صورة التشابه بين قصة يونس عليه السلام وبين قوم يزيد وقد اوحت السورة بإمكانية كشف العذاب لو ان القوم تابوا. وكشف الامتداد بان سفينة نوح انقذت معاصريه وأن سفينة الحسين مازالت مشرعة امام من يستنقذ بها إلى يوم الدين.

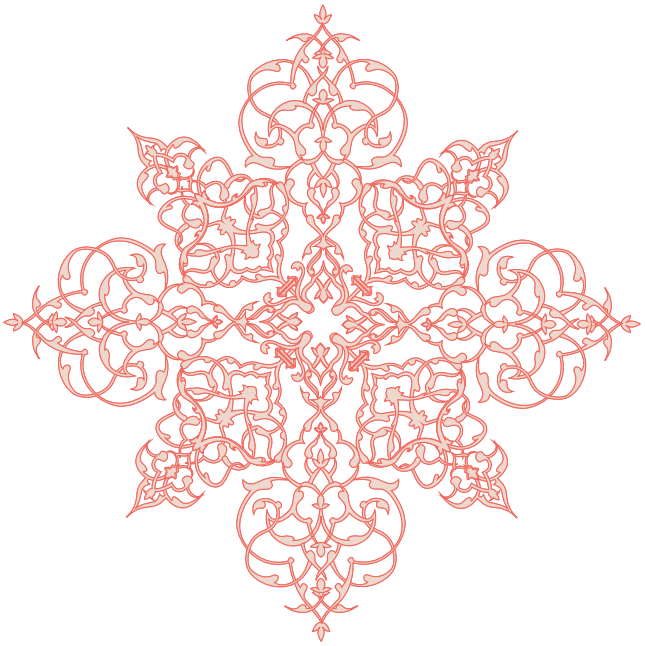

المبحث الثالث: الاقتباس الحسيني الثاني في الخطبة العاشورية

المسألة الأولى: امتدادات الاقتباس الحسيني الثاني في سورة الأعراف:

تبين في المبحث السابق ان الاقتباس الأول في خطبة الإمام الحسين عليه السلام مصدره سورتان فالشق الأول من الاقتباس كان من سورة يونس كما مر ام الشق الثاني من الاقتباس فهو من سورة الأعراف.

نص الخطاب مورد الاقتباس:

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حق لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتهم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[1] فالشق الثاني من الاقتباس مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2].

(١) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان: ٢١٧.

(٢) سورة: الأعراف: ١٩٦.

الامتدادات في سورة الأعراف:

تعريف بالسورة:

(سميت بسورة الأعراف لورود ذكر اسم الأعراف فيها وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما روى ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله بينهم)[1] هي من السورة الطوال والسابعة في ترتيب المصحف كلها مكية ما عدا الآيات من ١٦٣، ١٧٠ (فمدنية عدد آياتها ٢٠٦ آية نزلت بعد سورة «ص» تبدأ بالحروف المقطعة «ا ل م ص» وتتمحور السورة حول قصص الأنبياء وهدفها كهدف السورة المكية ويتمثل بتقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة ورويت روايات متعددة عن أسباب نزول بعض من اياتها وروي عن فضلها بأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يقرؤها في صلاة المغرب[2].

هدف السورة إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة التي سبقتها وهي سورة الانعام وتحذيرها بقوارع الدارين، وأدل ما فيها على هذا المقصد أمر الأعراف فإن اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيهما وما أعد لأهلهما الداعي إلى امتثال كل خير واجتناب كل شر والاتعاظ من رحمته لاهل الايمان ومن انتقامه من أهل الكفر والضلال ومن هدايته لأهل الاصطفاء ولزوم طريق الوفاء. و لما كان المقصود من البعثة أولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال، وكانت مواجهة

(١) البرهان في ترتيب سورة القران، أبن الزبير الغرناطي، تحقيق محمد العزاوي،، (د.ط) دار الكتب العلمية،(د.ت)، بيروت، لبنان،:٥٣.

(٢) المصدر السابق :٥٤.

الناس بالإنذار شديدة على النفوس[1].

تبين الأجواء العامة للسورة ومتمثلة بعنوانها: (الأعراف) اجواء معركة الطف فحين القاء الحسين عليه السلام خطابه كان الكل على اعراف الجنة والنار وهذا ما لمسه جيدا الحر الرياحي متمثلة بمقولته المشهورة بانه كان يخير نفسه بين الجنة والنار فالكل كان يعلم ان الجنة مع الحسين والنار مع يزيد.

المسألة الثانية: امتداد الاقتباس الثاني في النص المختار من سورة الاعراف:

إن نص الاقتباس الحسيني هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهو اقتباس تام من سورة الأعراف آية: «١٩٦» من دون تغيير اما النص التام الذي اقتبست منه تلك الاية فهو قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝١٩٦ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2].

كأن الاقتباس أراد ان يجمع بين شاهد من التاريخ البعيد وشاهد من العقل والمنطق والتاريخ القريب: تاريخ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث بدأ النص بحوار مع العقل فالنص ينكر ويدعو الرسول محمد صلى الله عليه واله إلى النكران معه ويدعو

(١) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، ابراهيم بن عمر، دار الكتب العلمية،(د.ط) منشورات محمد علي بيضون ١٤٢٧هـ- لبنان - بيروت، ٧ / ٣٤٧.

(٢) سورة: الأعراف: ١٩٢-١٩٩.

المتلقي في أي زمان ومكان ان ينكر أيضا مبدأ الشرك بالله والا فلا منطق ولا عقل سليما يتوائم مع اتخاذ شركاء لله لهم صفات الضعف المطلق والمتمثل بما يأتي: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. الاستفهام للتعجب والإنكار على كل من يغفل عن نعمة الله، فينسبها للأسباب أو للأصنام على الرغم من انهم يعلمون أن المشركين وأصنامهم كلهم مخلوقون لله سبحانه، ومصنوعون من مواد خلقها جل جلاله).[٣] فهؤلاء القوم يحاربون الحسين عليه السلام لانهم اشركوا المخلوق بحكم الخالق وحالهم حال المشركين بعبادة الاصنام لان الكل يعلم من الحسين عليه السلام وجل قواد القوم يعرفون ما امر الله به من اتباع العترة فضلا عن مخالفتهم وفضلا عن مقاتلتهم فالشرك واضح في تصرف القوم مهما البس بمدلهمات الآراء البشرية.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ توعية لهم وللاجيال بان الطغاة الذين اشركوا في حكم الله لا يستطيعون نصر من قاتل الحسين ولا يستطيعون نصر انفسهم وقد اثبت التاريخ ذلك حيث قتل أولئك القادة وقتل من شارك بقتل الحسين عليه السلام فلا القادة نصروا القتلة ولا القادة استطاعوا نصر انفسهم. فلا فرق بين هؤلاء القادة وبين الأصنام التي نزلت بها تلك الايات فقد عبدوها، وقدسوها وهي غير قادرة على نصرهم إذا احتاجوا لذلك بل غير قادرة على أن تدفع عن نفسها مكروهاً ان حل بها، فإن من أراد كسرها قدر عليه، وقصة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام هي شاهد صدق على ذلك [٤]

اما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ مصداقه واضح في معركة الطف فقد دعاهم الحسين إلى الهدى فكانوا كالحجارة الصماء وكأن لا فرق بينهم وبين الاصنام الموصوفة في الاية الكريمة فقد ورد

(٣) تفسير العدل والاعتدال محمد بن عاشور (١٤٢٥ هـ): ٥٩٥.

(٤) ينظر: تفسير القران الكريم، اعرابه وبيانه، تأليف الشيخ محمد علي طه، (ط:١)، دار ابن كثير، (٢٠٠٩م)، بيروت:٩٨٧.

في تفسير الاية: ان الاصنام التي تعبد من دون الله اذا دعوتموها في طلب هدى اورشاد كما تطلبون الهدى والرشاد من الله لا يستجيبون لكم كما يستجيب الله سبحانه وتعالى فيرسل الرسل وينزل الكتب ويجعل الاوصياء في كل زمان ومكان[1].

اما قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فقد كانت حجة على المعاصرين لمعركة الطف وللاجيال فقد ورد في التفسير: ان في تلك التساؤلات تبكيت للمسؤولين حيث ان الاصنام التي اشركوها في عبادة الله سبحانه أدون منهم، وعبادة الشخص من هو مثله لا تليق فكيف من هو دونه، ووجه الإنكار ان تلك الآلات الأربع اشعارا بان نفي استحقاق الالوهية ليس لامتلاك الأرجل والجوارح الاخرى انما لامتلاك القوة القادرة على تلك الجوارح. حيث يستدل بالاية على إن اللهّ تعالى أودع في بعض الأشياء قوة بها تؤثر فاذا سلبها منه سبحانه تعالى فلا قدرة له عليها فلا قدرة ليد ولا لرجل ولا لغيرها من الجوارح بذاتها وكل ذلك كناية عن القدرة المطلقة لله سبحانه.[2] ومن هذا الامتداد القراني يفهم ان الآمر بالحرب على الحسين (يزيد بن معاوية) قد اشركه القوم المحاربين للحسين بحكم الله فكانت الاية تنبه الناس على امتداد التاريخ ان من يشرك بحكم الله حكما آخر بحجة الخوف من البطش فان هؤلاء الطغاة هم عباد امثالكم لا قوة لهم. ولذلك اختار الحسين عليه السلام من ذلك النص قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ فقد ورد في التفسير: بان الله سبحانه تعالى امر النبي صلى الله عليه واله وسلم ان يبلغ القوم بانه لا يبالي بهم وبشركائهم لأن وليه هو اللهّ تعالى الذي نزل الكتاب الناطق بأنه ولي وناصر للصالحين وبأن الشركاء لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصر انصارهم وفعلا

(١) تفسير المصدر السابق: ٩٨٧.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني محمود بن عبدالله الالوسى، دار الكتب العلمية-لبنان ١٣٦/٥.

فقد أصلح اللهّ تعالى شئون الصالحين المشار اليهم في تلك الاية وهم الرسول صلّى اللهّ عليه وآله وسلّم ومن معه حيث كمل به خلقه وأقام به أوده وأفسد به الأباطيل

المعطلة، بينما الذين كانوا يدعون من دون الله وعبدوهم لم ينصروا الكفار ولم ينصروا انفسهم فاندثرت الاصنام وظهر دين الله[1].

وكذا الامر مع الحسين عليه السلام فالحسين يسموا بدينه وبنفسه وباتباعه وبمن سار على نهجه بينما اندثر طغيان يزيد واندثرت معه أهدافه بمحو الإسلام الحنيف.

فقد كانت نهضة الحسين الجزء الأخير من العلة التامة لاستحكام عروش الدين حيث إنها فرقت بين دعوة الحق والباطل وميزت أحد الفريقين عن الآخر حتى قيل: إن الإسلام بدؤه محمدي وبقاؤه حسيني ولذلك لم يجد أئمة الهدى وسيلة لنشر أمرهم في الاصلاح ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدهم الأقدس إلا الأنظار إلى هذه النهضة الكريمة لما اشتملت عليه من فجائع تفطر الصخر الأصم ويشيب لها الطفل ويذوب من اجلها الفؤاد فطفقوا يحثون الأمة على تأييدها والقيام بذكر وما لاقاه شهيد الاصلاح من القسوة والاضطهاد واعلام الأمة بما حدث في تلكم المشاهد الدموية من مظلومية الحسين وأهله وذويه لأنهم صلوات الله عليهم علموا أن في اظهار مظلوميته مجلبة للعواطف واسترقاقاً للأفئدة فبطبع الحال يتحرى السامع لتلكم الفجائع الوقوف على مكانة هذا المضطهد وأسباب ما ارتكبت ضده من أعمال قاسية وانه سبط النبوة وإمام عدل لم يرضخ للدنايا ولم يصخ إلى دعوة المبطلين[2] فسيرته مصداق لفحوى تلك الاية التي اقتبس منها فهو يعلم ان هؤلاء لا يمتلكون شيئا وانه تولى الله سبحانه وحسب وكان نعم الولي ونعم النصير فها هي إمامته موروثة له من جده وأبيه تملأ الخافقين وهؤلاء المناوئين له يتهاوون كما يتهاوى الفراش في النار ليس لهم منصة خلافة ولا

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم، ٥/ ١٣٦.

(٢) ينظر: مقتل الحسين لعبد الرزاق المقرم، (د.ط)،مؤسسة الخرسان للمطبوعات،٢٠٠٧م، بيروت، لبنان:٩٥.

موضع قدم الا تهاوى.

ثم تاتي الاية الأخيرة لتطلق حجة على مر العصور والازمان حين تقول: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فقد كان القوم لا يسمعون إلى هدي الحسين عليه السلام فقد كانوا ينظرون إلى الحسين ولكنهم لا يرونه بعين الحقيقة فقد عميت القلوب التي في الصدور لذلك اخذ الحسين العفو من الحر الرياحي واعرض عن الجاهلين.

ولم يكن النص القرآني المقتبس منه يخص تلك الشريحة التي حاربت الحسين انما تشمل الراضين بحكم يزيد على مر العصور فقد ورد في كتاب المقتل: (ألا وإن الراضين بقتل الحسين شركاء في قتله، ألا وإن قتلة الحسين وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله وكلام الله لانهم يعلمون من هو الحسين(عليه السلام) ولكنهم يعنون ويساهمون ويسكتون عن الحقيقة... وكانوا على معرفة ودراية بالقران الكريم وبمن هو سبط الرسول(ص) ولكن مع ذلك لم يمتثلوا لكلام الله واهل بيته واتبعوا يزيد وال يزيد بماقرروا وارادوا وكانوا موالين لهم وناصرين الباطل ضد الحق فجزائهم اشد جزاء فحشرهم سوياً وعذابهم في الاخيرة عظيماً)[1].

(١) مقتل الامام الحسين، للشيخ محمد امين الاميني،(د.ط)،دار الولاء،٢٠٠٤م،١٤٥٢ هـ، بيروت، لبنان :١٧٤ ومابعده

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث والشكر له على ما انعم به من عون، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد واله واصحابه وسلم.

أما بعد:- فاوجز اهم النتائج التي تم التوصل اليها في هذه الدراسة بما يأتي:

-ظهر من خلال البحث أنّ الامام الحسين(عليه السلام) حينما كان يقتبس من القرآن الكريم، كانت له غايات عميقة وكثيرة، يمكن للدارس استشفافها عند متابعة النصّ القرآني الذي اقتبس منه.

-إنّ القاء الامام الخطبة مع الظرف العصيب الذي هو واهله به، يدلّ على أنّ القرآن الكريم مفتوحا امام بصيرته (عليه السلام) فلا يحتاج إلى عمل بحث لاختيار تلك الاقتباسات القرآنية.

-بينت الامتدادات القرآنية في الخطبة بالمطامع البشرية وحبّ الذات والعمى عن اليوم الاخر وبذلك العمى تحصل الجرائم البشعة التي يقوم بها الظالمون وهم لا يبالون حينئذ بمن كان يقف امامهم وان كان ابن بنت نبيهم الذي لا ابن بنت نبي غيره.

-لم يسع البحث من حيث الحجم وشروط بحث التخرج الا متابعة اقتباسين اثنين فقط من خطبة واحدة للحسين عليه السلام وبذلك فان ميدان بحث الامتدادت القرآنية في اقتباسات الامام الحسين مازال ثريا ويستحق الدرس والبحث.

ومن الله التوفيق

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاتقان في علوم القران، للسيوطي المتوفي ٩١١ هـ، ضبطه وصححه وخرج اياته محمد سالم هاشم، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد، دار الكتب العلمية، (د.ت)بيروت، لبنان.

٣. الاغاني لأبي فرج الاصفهاني المتوفي ٣٥٦ هـ، شرحه وكتب حواشيه عبدا علي مهنا، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار الكتب العلمية، (د.ت)بيروت، لبنان.

٤. الاقتباس القراني في زيارة الامام الحسين (عليه السلام)،م،م حسن جميل الربيعي، الاصلاح الحسيني، العدد الثلاثون السنة الثامنة ٢٠٢٠ م (د.م).

٥. الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريرى، ط١،الناشر: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع٢٠٠٧م.

٦. اقتباس انواعه واحكامه –دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث– / د. عبد المحسن بن عبد العزيز عسكر/ د.ط١/ ١٤٢٥هـ/ مكتبة دار المنهاج/ الرياض.

٧. الامثل في تفسير الكتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ط١ (ايران)

٨. الايضاح في علوم البلاغة،تأليف الخطيب القزويني المتوفي ٧٣٩هـ، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين،ط١، دار الكتب العلمية٢٠٠٢ م، بيروت، لبنان

٩. البديعيات في الأدب العربي اعداد علي ابو زيد، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٩٨٣

١٠. التعبير القراني، فاضل صالح السامرائي، استاذ كلية الاداب، جامعة بغداد،، (د. ط)،مصورات مكتبة الصدوق، (د.ت) (د.م).

١١. التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية للدكتور هادي سعدون عنون،(د.ط) ٢٠١٢م إصدارات العتبة العلوية المقدسة

١٢. الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين، عبد الكريم القزويني، مطبعة النعمان،١٩٧١م، النجف الاشرف.

١٣. البرهان في ترتيب سورة القران، أبن الزبير الغرناطي، تحقيق محمد العزاوي،، (د.ط) دار الكتب العلمية،(د.ت)، بيروت، لبنان.

١٤. بحار الانوار للعلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء، سنة الطبع ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م

١٥. تاريخ الدولة الاموية، الدكتور محمد سهيل طقوش (ط:٧)، دار النفائس (٢٠١٠م)، (بيروت، لبنان).

١٦. تداولية الاقتباس في المنجز الروائي، أ.د. عبد القادر البار رحمة الله اوريسي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الجمهورية الجزائرية، جامعة قاصدي -مرباح - ورقلة

١٧. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن،ت ٧١٤، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين، (د.ط) دار الكتب العلمية،، ١٩٧١، بيروت،لبنان.

١٨. تفسير الاديب محمد بن عاشور، تفسير العدل والاعتدال، بقلم الاديب محمد بن عاشور عضو الامانة العامة لأتحاد العلم للأدباء والكتاب العرب، تنقيح ٨ربيع الاول. ١٤٢٥.

١٩. تفسير القران الكريم، اعرابه وبيانه، تأليف الشيخ محمد علي طه، (ط:١)، دار ابن كثير، (٢٠٠٩م)، بيروت.

٢٠. تفسير المراغي، لاحمد مصطفى المراغي، (د.ط) دار الكتب العلمية، (د.ت) بيروت، لبنان

٢١. تلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتجريد في علم المعاني والبيان والبديع، مطبعة السعادة، (١٩١١م): ٤٧٦ حاشية الانبابي، من تقرير الشمس الانبابي على شرح سعد

٢٢. ثورة الامام الحسين (ع) وموقعها فى مسار الامة الاسلامية حاتم نورى مجلة التوحيد، العدد ٧٢.

٢٣. جواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من ادم إلى ازمنتنا الحاضرة عبد السلام العمراني الخالدي،د.ط،، دار الكتب العلمية،د.ت، بيروت، لبنان.

٢٤. حسين ابو الشهداء، عباس محمود العقاد، (د. ط)،مكتبة ابو العس الالكترونية، (د. ت)،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥. حواشي النقية على كتاب البلاغة تأليف الشيخ محمد علي بن حسين المالكي،(د.ط) دار الكتب العلمية،، (د.ت)،بيروت، لبنان

٢٦. خطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل،تأليف الدكتور عبد الكاظم. محسن الياسري، اصدار قسم الشؤؤن الفكرية في العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الاولى، (٢٠٠٩ م ١٤٣٠ هـ)

٢٧. خطب الامام الحسين في وقعة الطف لابي مخنف الازدي ت١٥٧. دراسة في ضوء تحليل الخطاب (أ،د حربي نعيم محمد الشبلي/ جامعة كربلاء،كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية، مجلة العميد، مجلة فصلية محكمة السنة العاشرة، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني محمود بن عبدالله الالوسى، دار الكتب العلمية-لبنان

٢٩. سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي ضبطه وصححه محمد عبد القادر شاهين (د.ط)، دار الكتب العلمية، (د.ت):

٣٠. شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى،سالم لذيذ وادي الغزي، العتبة العلوية المقدسة، ط:١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، (٢٠١٥م)

٣١. فن الخطابة للدكتور احمد محمد الجوفي، دار النهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر

٣٢. في ظلال القران سيد قطب، (د.ط)، ١٤٢٣ هـ،٢٢٠٣م،دار الروق، بيروت، لبنان

٣٣. قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام/ أ.د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني/ مجلة الإصلاح الحسيني الصادرة عن العتبة الحسينية العدد الرابع والعشرون-

٣٤. قصة يونس عليه السلام / مصطفى بن العدوي/ دار بلنسية

٣٥. لسان العرب للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر.

٣٦. مرآة الزمان في تاريخ الاعيان تصنيف الامام شمس الدين (٦٥٤ هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، (د.ط)، دار الكتب العلمية بيروت، (١٩٧٧م)

٣٧. مقتل الامام الحسين، العلامة الشيخ عبد الزهرة الكعبي، شبكة الفكر

٣٨. مقتل الحسين (عليه السلام) موفق بن احمد انوار الهدى،، (د.ط) (د.ت)

٣٩. مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، لابي مخنف، ط٢، مكتبة الالفين، ١٩٧٨م، الكويت

٤٠. مقتل الامام الحسين، للشيخ محمد امين الاميني،(د.ط)،دار الولاء،٢٠٠٤م،١٤٥٢ هـ، بيروت، لبنان

٤١. نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، ابراهيم بن عمر، دار الكتب العلمية،(د.ط) منشورات محمد علي بيضون ١٤٢٧هـ لبنان بيروت.